﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الاعتزازُ والغُرور مَصيرُهُ الإهانةُ والثُّبور

لمّا نَهى اللّهُ تعالى عن طاعةِ المُكذِّبين، وذكرَ خصالَهُم وأوصافَهُم الشَّنيعة، وبيَّنَ سببَ تكذيبِهم وهو اغترارُهُم بالأولاد، وتعزُّزُهم بالأموال؛ ناسبَ أنْ يذكرَ جزاءَهم واحتقارَهم بالتَّنصيصِ على عذابٍ يُظهِرُ مدى الاستخفافِ بهم، وكمالَ إهانتهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾: (وسم) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على أثرٍ ومَعلَم[1]، ووَسَمْتُ الشَّيءَ وسْمًا من بابِ (وعدَ)، والاسمُ السِّمةُ، وهي العَلامة[2]، والوسمُ وضعُ أثرٍ في شيءٍ ليُعرَفُ به؛ فالقيدانِ لازمانِ في صدقِ الأصلِ، ومن مَصاديقه: الكَيُّ في الحيوانِ بعنوانِ التَّعرفة، وقطعُ الأذُنِ فيه، وجَعْلُ علامةٍ بالتَّأثيرِ في شيءٍ، وتعيينُ علامةٍ في شخصٍ خيرًا أوْ شرًّا، والمُرادُ به في الآية: جَعْلُ أثرٍ أوْ عَلامةٍ في أنفِه، فيُعرَفُ أنَّهُ كان مُتأنِّفًا في قِبالِ الحقِّ، فيُشيرُ إلى كُمونِ التَّأنُّفِ والاستكبارِ في نفسِه، وظُهوره في الحشرِ بهذه الصّورة، فإنَّ النّاسَ يُحشَرونَ في الآخرةِ على صوَرِ بَواطنِهم[3].

2) ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾: (خطم) يدلُّ على تقدُّمِ شيءٍ في نُتوٍّ يكونُ فيه، فالمَخاطِمُ الأُنوفُ، واحدُها مِخْطَمٌ، ورجلٌ أخطَم: طويلُ الأنف[4]، والخُرطومُ الأنفُ، والجمعُ خراطيمُ[5]، والخرطومُ: الأنفُ الطَّويلُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسم).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (وسم).
(3) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 13/ 108.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خطم).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (خرط).

المُمتدُّ، سواءٌ قلنا: إنَّها مَأخوذةٌ من مادَّة الخَطْم بمعنى الأنف، والإضافةُ تدلُّ على الطّول والامتداد، فإنَّ زيادةَ المَبنى تدلُّ على زيادةِ المعنى، فهي على (فَرْعول)، أو إنَّها مأخوذةٌ من (الخَرْط) على (فُعلوم)، بمناسبةِ كون الخرطوم كالخشبةِ المقشورةِ، أوْ إنَّها كاليدِ تُقشَّرُ بها الأوراق أو لطولها، أوْ إنَّها رباعيَّةٌ أصيلةٌ على زنةِ (فُعلول)، وعلى أيِّ صورةٍ؛ فالخُرطومُ مظهَرُ التَّأنُّفِ والتَّكبُّر والتَّظاهُرِ كما في الأنف، ولهذا وردَ في الآية بمعنى: نجعلُ على خُرطومِهِ علامةً؛ ليُرغَمَ أنفُهُ، ويَنكسِرَ تأنُّفُهُ، ويزولَ استكبارُهُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ظهورُ العار على سبيلِ الاستمِرار

والمُرادُ: أنّا سنُبيِّنُ أمرَهُ بيانًا واضحًا حتَّى لا يَخفى على أحدٍ، كما لا يَخفى ذو السِّمَة على الخُرطوم، وفي هذا إذلالٌ ومَهانةٌ له؛ لأنَّ السِّمةَ على الوَجهِ شَيْنٌ، فما بالكَ بها في أكرمِ مَوضِعٍ؟ وهو الأنفُ الَّذي هو مَكانُ العِزَّة والحميَّة والأنَفة، والخُلاصةُ: سنُذلُّهُ في الدُّنيا غايةَ الإذلال، ونجعلُهُ مَمقوتًا مذمومًا مشهورًا بالشَّرِّ، ونَسِمُهُ يومَ القيامة على أنفِهِ؛ ليُعرَفَ بذلك كفرُهُ وانحطاطُ درجتِهِ، أي: سنُعَلِّمُهُ يومَ القيامة بعلامةٍ مُشوِّهة يُعلمُ بها من سائرِ الكفرة؛ إذ كان بالغًا في عَداوةِ سيِّدِ المُرسلينَ عليه وﷺ أقصى مراتبِ العَداوة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ فصلِ ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ عمّا قبلَه:

جزاءُ المُستكبِرين العَذابُ المُهين

فصلَ النَّظمُ الكريمُ الجملةَ الفعليَّةَ في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ عمّا قبلها؛ لكونها استئنافًا بَيانيًّا؛ "جَوابًا لِسُؤالٍ يَنْشَأُ عَنِ الصِّفاتِ الذَّميمَةِ الَّتي وُصِفوا بِها، أن يَسألَ السّامِعُ: ما جَزاءُ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 92.

أصحابِ هَذِهِ الأوْصافِ مِنَ اللهِ عَلَى ما أتَوهُ مِنَ القَبائِحِ والاجتراءِ عَلَى رَبِّهِم؟"[1].

دلالةُ (السّين) في ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾:

شـــدَّةُ الـوعـيـد بعَظَمة التَّهديد

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بحرفِ (السّين)، في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ للدَّلالة على التَّأكيدِ، وتحقُّقِ الوقوعِ في المُستقبَلِ، مع الوعيدِ بإنجازِ ذلك رَدْعًا لِمَنْ يَسمَعُ الخطاب، فيعودُ إلى جادَّةِ الصَّواب، قال أبو حيّان: "﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ فِعلٌ مُستقبَلٌ لَم يَتَعَيَّنْ زَمانُهُ، فقيل: هوَ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ، أي: يُضْرَبُ بِهِ على وجْهِهِ وعلى أنْفِهِ، فَيَجيءُ ذَلِكَ كالوَسْمِ على الأنْفِ، وحَلَّ بِهِ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وقال المُبَرِّدُ: ذَلِكَ في عَذابِ الآخِرَةِ في جَهَنَّمَ، وهو تَعْذيبٌ بِنارٍ على أُنوفِهِم"[2].

دلالةُ الفعلِ المُضارعِ (نَسِمُ) مادَّةً وصيغةً:

إهـانـةُ الـظّـالـمين بـعـلامـةِ الـذُّلِّ والهَوانِ المُبين

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ للدَّلالة على حدوثِ الوَسْمِ والضَّربِ والتَّعليمِ على الأنفِ بعَلامةٍ في المستقبلِ القريب، و"الوَسمُ: أثرُ كَيَّةٍ، يقالُ: وسَمْتُهُ، فهو مَوسومٌ بِسِمَةٍ يُعرَفُ بها، إمّا بكَيَّةٍ، وإمّا قَطْعٍ في أُذُنٍ علامةً لهُ"[3]، سواءٌ كانت تلك العلامةُ في الدُّنيا أو في الآخرة، وهو يفيدُ التَّجدُّدَ الاستمراريَّ لتلك العَلامةِ على أنفِهِ، وأصلُ مادَّةِ الفعلِ من (الوَسْم) لِلإبِلِ ونَحوِها، وهو جَعْلُ سِمَةٍ لَها أنَّها مِنْ مَمْلوكاتِ القَبيلَةِ أوِ المالِكِ المُعَيَّنِ"[4]، وعبَّرَ النَّظمُ عن الوعيدِ بوضعِ علامةٍ على الأنفِ يُعرفُ بها؛ ليكونَ مُنسجِمًا مع كونه ذا عَلامةٍ عُرِفَ بها في مُحاربتِهِ للهِ ورسولِهِ عندَ قولِهِ تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، أي: لهُ علامةٌ حسّيَّةٌ مثلُ زَنَمَتَي الشّاة، فتوضَعُ له علامةٌ أُخرى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 76.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 240.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 22/ 91.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 78.

للعذاب، أوْ لهُ علامةٌ معنويَّةٌ في معاداةِ اللّه ورسولِهِ يُعرَفُ بها، فتوضَعُ لهُ علامةٌ حسّيَّةٌ[1].

دلالةُ ضميرِ الفاعلِ المتكلِّم في ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾:

تعظيمُ التَّهديد بعظمةِ مَن يصدُرُ عنهُ الوَعيد

أضمرَ النَّظمُ الكريم فاعلَ (نَسِمُهُ)، في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، وتقديرُهُ: (نحن)؛ للعِلْم به، وهو اللّهُ تعالى، وأفادَ التَّعبيرُ بضميرِ العَظَمة شدَّةَ العذابِ المتوعَّدِ به وتقويَةَ وُقوعِهِ؛ تَهديدًا وتخويفًا لكُلِّ مَن يَجترئُ على الاستكبارِ والغرورِ عن الدّين الحقِّ.

تحديدُ مَرجِعِ الضَّمير (الهاء) في ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾:

شدَّةُ الوعيد بتهديدِ كلِّ فردٍ عَنيد

أعادَ النَّظمُ الكريم ضميرَ الغائبِ في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، إلى لفظِ ﴿كُلَّ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾، والتَّقديرُ: (سَنَسِمُ كلَّ حلّاف...)، فيكونُ الضَّميرُ المفردُ راجعًا باعتبارِ اللَّفظ إلى ﴿كُلَّ﴾، "وَإن كانَ مَعناهُ الجَماعات، فَإفرادُ ضَميرِهِ كَإفرادِ ما أُضيفَ إلَيْهِ ﴿كُلَّ﴾ مِنَ الصِّفاتِ الَّتي جاءَتْ بِحالَةِ الإفْرادِ"[2]؛ إذ لم يقُل النَّظمُ: (كلَّ الحلّافين المَهينين)، بل أفردَ المُضافَ إليه؛ للدَّلالةِ على أنَّ كلَّ واحدٍ منَ الحلّافين لا يُطاعُ، فضلًا عن كلِّهم، فأفردَ الضَّميرَ هنا؛ ليعودَ إلى كلِّ واحدٍ ممَّنِ اتَّصفَ بتلك الخِصال.

دلالةُ التَّعريضِ بالضَّميرِ الغائب:

وعيدُ المستكبرين للتَّعريضِ برَمْزٍ مَهين

عبَّر النَّظمُ الكريم بضميرِ الغائبِ المُفرد، في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ للدَّلالة على التَّعريضِ بالمقصودِ بالخطاب؛ سواءٌ كان الوليدَ بنَ المُغيرة أو غيرَه، فهو وإنْ رجعَ إلى ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾، إلّا أنَّه يُعرِّضُ بمُعيَّنٍ مُتَّخَذٍ رمزًا لكلِّ من اتَّصف بذلك، بقرينةِ الإفرادِ في قولِه: ﴿أَن كَانَ﴾، و﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ﴾، قال ابن

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 607.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 77.

عاشور: "والمَعنَى: سَنَسِمُ كُلَّ هَؤُلاءِ على الخَراطيمِ، وقد عَلِمْتَ آنِفًا أنَّ ذلك تَعْريضٌ بِمُعَيَّنٍ"[1].

مَعنى ﴿عَلَى﴾ والغرضُ منها:

العَلامةُ المُشينةُ الظّاهرة للنُّفوسِ المُستكبرةِ قاهِرة

عبَّرَ النَّظمُ القرآنيُّ بحرفِ الجرِّ ﴿عَلَى﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ للدَّلالة على الاستعلاءِ الحقيقيِّ؛ إذِ العلامةُ والوَسْمُ يوضعانِ فوقَ الجسم؛ لكَي يُعيَّنَ، ويتميَّز، وأمّا وضعُ الوشمِ هنا؛ فإنَّه إهانةٌ وقهرٌ للعِزَّة والغُرور، والأصلُ في الوسم أنْ يكونَ على جسدِ الحيوان بغيةَ تمييزِهِ، فوضْعُها على أنفِ المُستكبرين مجازاةٌ على غُرورِهم المُبين.

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾:

تعيينُ العضوِ عندَ الإحالة مُفيدٌ كمالَ الإهانة

عبَّرَ النَّظمُ القرآنيُّ عن ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾ الموسومِ مُعرَّفًا بـ(أل) في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّعيين الجنسيِّ المعلومِ عندَ المُخاطَبين؛ إذِ ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾ في الحيوانِ يُقابِلُه (الأنفُ) في الإنسانِ، لكنَّه سُمّيَ خُرطومًا للإهانةِ والتَّشويه، قال الطَّيبيُّ: "لو قال: (على الأنف)؛ لكان استهانةً، فلمّا قال: ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ كانَ أبلغَ في الإهانة؛ لأنَّ الخُرطومَ لا يَكادُ يُستعمَلُ إلّا في أنفِ الفيلِ والخِنزير من بينِ الدَّوابِّ"[2]، ولا يَبعدُ أن تكونَ (أل) عِوَضًا عنِ المُضافِ إليه، أي: خُرطومِهِ، والغرضُ من العدولِ الخروجُ من إرادةِ خُرطومٍ لمعيَّنٍ إلى أيِّ خرطومٍ، بحيثُ يتَّسِقُ مع: ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾.

دلالةُ الاستعارةِ أوِ المَجازِ المرسَل في ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾:

التَّشويهُ والتَّقبيحُ لارتكابِهِ الذَّنبَ القَبيح

استعارَ النَّظمُ القرآنيُّ لفظَ ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾ لأنفِ الإنسانِ، في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، قال ابنُ عاشور: "والظّاهِرُ أنَّ حَقيقةَ الخُرطومِ: الأنْفُ المُسْتَطيلُ كَأنْفِ الفيلِ والخِنْزيرِ ونَحْوِهِما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 77.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 581.

مِن كُلِّ أنْفٍ مُسْتَطيلٍ، وجَزَمَ ابْنُ عَطيَّةَ: أنَّ حَقيقَةَ الخُرْطوم مَخْطِمُ السَّبُعِ[1]، أي: أنْفٌ مِثلُ الأسَدِ، فَإطلاقُ ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾ على أنفِ الإنسانِ هُنا اسْتِعارَةٌ؛ كَإطلاقِ المِشْفَرِ، وهوَ شَفَةُ البَعيرِ على شَفَةِ الإنسانِ"[2]، والغرضُ من الاستعارة التَّشويهُ والتَّقبيحُ والإهانةُ لوجهِ المتوعَّدِ بالوَسْمِ بسببِ ذَنبِهِ القَبيح، قال السَّمين: "والخُرطومُ في الأصلِ أنفُ الفيل، فذُكِرَ هنا تقبيحًا لصاحبِهِ"[3]، ويحتملُ أنْ يكونَ مجازًا مرسَلًا من قبيلِ ذِكرِ الجُزءِ وإرادةِ الكلِّ، فيكونَ الخرطومُ بمعنى الوجهِ[4]؛ بناءً على أنَّ الوسمَ تسويدُ الوجهِ.

سرُّ اختيارِ (الأنفِ) مَحَلًّا للوَسْم:

مَحَلُّ العِزَّةِ صارَ مَحَلًّا للذِّلَّةِ

اختارَ النَّظمُ القرآنيُّ (الأنفَ) من بينِ أعضاءِ الجسمِ مَحَلًّا للوَشْمِ باستعارةِ ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾ له، في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ ليكونَ أعزُّ شيءٍ مُهانًا، فخُصَّ (الأنفُ) بالذِّكر؛ لأنَّ الوسمَ عليه أبشعُ[5]؛ إذ تعارفَ العربُ على استعمالِ (الأنف) للعِزَّةِ والشُّموخ، فيكون ذِكرُهُ والتَّنصيصُ عليه مبالغةً في الإهانةِ والاستخفاف، قالَ ابنُ عاشور: "ذُكِرَ الأنْفُ في التَّعْبيرِ عَن إظْهارِ العِزَّةِ في قَوْلِهِم: شَمَخَ بِأنْفِهِ، وهو أشَمُّ الأنْفِ، وهُمْ شُمُّ العَرانينِ، وعَبَّرَ عَن ظُهورِ الذِّلَّةِ والاستِكانَةِ بِكَسْرِ الأنْفِ، وجَدْعِهِ، ووُقوعِهِ في التُّرابِ، في قَوْلِهِمْ: رَغِمَ أنْفُهُ، وعلى رَغْمِ أنْفِهِ"[6]، فيكونُ ذِكرُ هذا العضوِ دونَ غيرِه مَقصودًا؛ لإظهارِ شدَّةِ الإذلال؛ ليكونَ مُقابلًا لغرورِهِم واستكبارِهِم عن الحقِّ، "وجُعِلَ تَشويهُهُ يَوْمَ القيامةِ في أنْفِهِ؛ لِأنَّهُ إنَّما بالَغَ في عَداوَةِ الرَّسولِ والطَّعْنِ في الدّينِ بِسَبَبِ الأنَفَةِ والكِبْرياءِ، وقَد كانَ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 348.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 77.
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/ 498.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 137.
(5) الحنبليّ، فتح الرّحمن: 7/ 127.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 588، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 78.

(الأَنْفُ) مَظْهَرَ الكِبْرِ، ولِذَلِكَ سُمّيَ الكِبْرُ (أَنَفَةً)؛ اشتِقاقًا مِن اسمِ الأَنْفِ، فَجُعِلَتْ شَوْهَتُهُ في مَظْهَرِ آثار كبريائه"[1].

دلالةُ الحقيقةِ أوِ الاستعارةِ التَّمثيليَّة في ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾:

المجازُ والحقيقة دالّانِ على خطأ المَنهجِ والطَّريقة

يحتملُ النَّظمُ في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أنَّه مُستعمَلٌ بالمعنى الحقيقيِّ، وهوووضعُ علامةٍ تُميِّزُهم، ووَشْمٍ يُقَبِّحُهم، ويُذلُّهم على أُنوفهم، أمّا في الدُّنيا؛ فيكونُ بضَرْبِ الوُجوهِ بالسُّيوفِ وتشويهِها، فيكونُ وشمًا على الخُرطوم باقيًا، فَعَنِ ابنِ عَبّاسٍ ﷺ: مَعْنَى ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: "سَنَخْطِمُهُ بِالسَّيْفِ، فنجعل ذلك علامةً باقيةً على أنفه"[2]، وقَد كانوا إذا ضَرَبوا بِالسُّيوفِ؛ قصدوا الوُجوه والرُّؤوس، وأمّا في الآخرة فأنْ يُحشَروا، ويُعذَّبوا بعلامةٍ موضوعةٍ على أنوفٍ ممتدَّةٍ يتميَّزون بها عن المُعذَّبين؛ لغرورِهم واستكبارِهم، والغرضُ من الإخبارِ الحقيقيِّ حينَئذٍ الوعيدُ الدُّنيويُّ أوِ الأخرويُّ، ويحتملُ أنَّه مُستعمَلٌ بالمعنى المجازيِّ، فيكون استعارةً تمثيليَّةً، قال ابن عاشور: "فالمَعْنَى: سَنُعامِلُهُ مُعامَلَةً يُعْرَفُ بها أنَّهُ عَبْدُنا، وأنَّهُ لا يُغْني عنه مالُهُ ووَلَدُهُ مِنّا شَيْئًا، فالوَسْمُ: تَمْثيلٌ تَتْبَعُهُ كِنايَةٌ عَنِ التَّمَكُّنِ مِنهُ وإظْهارِ عَجْزِه"[3]، فقد شبَّه مُعاملةَ اللّهِ تعالى لهم بطريقةٍ مُذلَّةٍ بمَنْ يوضَعُ الوَسْمُ على أنفِهِ؛ ليتميَّزَ عن أقرانِهِ بجامعِ الإذلالِ في كلٍّ، ثمَّ حذفَ المُشَبَّه، وأبقى المشبَّه به، والغرضُ منَ الاستعارةِ حينَئذٍ دوامُ الإهانةِ والإذلالِ.

ورجَّحه الطَّبريُّ بقوله: "وأوْلى القولينِ بالصَّواب في تأويلِ ذلك عندي قولُ مَن قالَ: معنى ذلك سنُبيّنُ أمرَهُ بيانًا واضحًا حتّى يَعرفوهُ، فلا يَخفى عليهم، كما لا تَخفى السِّمةُ على الخُرطوم"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 78.
(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 10/ 15.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 77.
(4) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 541.

دلالةُ الكِنايةِ في ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾:

نصيبُ المُستكبرين الهوانُ يومَ الدّين

كنَّى النَّظمُ القرآنيُّ في قولِهِ تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، عنِ التُّمكُّن من المتوعَّد به؛ إذ وضْعُ العلامةِ على أيِّ منطقةٍ في الجسدِ دليلُ التَّمكُّنِ والغَلبةِ والسَّيطرةِ عليه؛ "إذْ صارَ كالبَهيمَةِ لا يَمْلِكُ الدَّفْعَ عَن وسْمِهِ في الأنْفِ"[1]، فإنْ كانت في الوجهِ فهي أقوى، وإنْ كانت على الأنفِ؛ فهي أظهرُ، قال ابنُ عاشور: "والضَّرْبُ والوَسْمُ ونَحْوُهُما على الأنْفِ كِنايَةٌ عَنْ قوَّةِ التَّمَكُّنِ وتَمامِ الغَلَبَةِ وعَجْزِ صاحِبِ الأنْفِ عَنِ المُقاوَمَةِ؛ لِأنَّ الأنْفَ أبْرَزُ ما في الوَجْهِ، وهوَ مَجْرَى النَّفَس"[2].

قال الواحديُّ: "وجائزٌ أنْ ينفردَ بسِمَةٍ؛ لتعاليهِ في عَداوة النَّبيِّ ﷺ، فيُخَصُّ مِنَ التَّشويه بما يَتبيَّنُ به من غيرِهِ، كما كانت عَداوتُهُ لرسولِ اللّه ﷺ عداوةً يتبيَّنُ بها من غيره"[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السِّمة والعَلامة:

الوَسْمُ تأثيرٌ والتَّعليمُ استدلالٌ

الوَسْمُ: هو وضْعُ أثرٍ في شيءٍ؛ ليُعرَفَ به، ومِن مصاديقِهِ: الكَيُّ في الحيوانِ بعنوانِ التَّعرفةِ، وقطعُ الأُذُن فيه، وجَعْلُ علامةٍ بالتَّأثيرِ في شيءٍ، وتعيينُ علامةٍ في شخصٍ خيرًا أوْ شرًّا[4]، فالوسمُ وضعُ علامةٍ تُؤثِّرُ في الشَّيء حِسّيًّا بحيثُ لا يزولُ أثرُها، بخلافِ (التَّعليم) فإنَّه يكونُ بوضعِ علامةٍ لا تؤثِّرُ في الشَّيءِ المُعْلَم، بل تدلُّ عليه حتّى يحصلَ العِلمُ به بعدَ مدَّة، فلا يُنسَى، ولذا استعملَ النَّظمُ فعلَ (الوَسْم) دونَ فعلِ التَّعليم، فلم يقُل: (سَنُعْلِمُهُ بعلامةٍ على الخُرطوم).

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 240.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 78.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 22/ 87، 92.
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 13/ 106.

الأنف والخُرطوم:

الأنـف للإنسان حـقـيـقـيٌّ والـخُـرطـوم له مجازيٌّ

يُعهَدُ استعمالُ الأنفِ للإنسان؛ إذِ الأنفُ ذلك العضوُ المعلومُ طولُهُ وامتدادُهُ، في حين يَشتهِرُ استعمالُ الخُرطوم للفيلِ والخِنزير، المختلفِ طولًا وامتدادًا وشَكْلًا، لكن قد يُطلَقُ الخرطومُ على الأنفِ الإنسانيِّ عندَ إرادةِ التَّشبيهِ للعُضْوِ القصيرِ الجميلِ اللّائقِ، بذلك العُضْوِ العريضِ الممتدِّ، على سبيلِ التَّشويهِ للوَجهِ معَ الاستخفافِ والإهانة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"